

سورة سبأ

٧٩ - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ﴾ (١٥)

القراءة: اختلف القراء في قراءة قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾. فقرأ الجمهور، نافع، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة الأعرج "لِسَبَإٍ" بالجر والتنوين على أنه اسم حي: أي: الحي الذين هم أولاد سبأ. وقرأ ابن كثير، والبزي، والحسن، وأبو عمرو "لِسَبَاً" بإسكان الهمزة، وقرئ بقلبها ألفاً. وإذا وقف عليه حمزة، وهشام بخلف أبدلا الهمزة ألفاً على القياس، ولهما أيضاً بين بين على وجه الروم فهما وجهان. واختلفوا أيضاً في قوله تعالى: "مَسْكِنِهِمْ". فقرأ الجمهور، ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم "فِي مَسَاكِينِهِمْ" على الجمع، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم "مَسْكِنِهِمْ" بالإفراد، أي من غير ألف مع فتح الكاف وسكون السين. وقرأ الكسائي، وخلف "مَسْكِنِهِمْ" بكسر الكاف وهي لغة فصحاء اليمن، وبهذه القراءة قرأ يحيى بن وثاب، والأعمش، وبها قرأ الفراء^(١). وروى الحاكم

(١) انظر: الكشف ج ٢ / ٢٠٤ / ٢٠٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٦ / ١٢ / ١٣ / ١٤ ،
والتبصرة ص : ٣٠١ ، والتيسير ص : ١٣٦ / ١٤٦ ، والكنز في القراءات العشر ص : ٢١٠ ، ٢٢١ ،
وإعراب القراءات الشواذ ج ٢ / ٣٢٦ ، وتفسير البحر المحيط ج ٧ / ٢٥٨ ، وزاد المسير ج ٦ / ٤٤٢ -

في مستدركه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "لقد كان لسبأ في مساكنهم" بقراءة "لسبأ" بالجر والتنوين على معنى الحي، و "مساكنهم" على الجمع. فقال الحاكم: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عبد الله بن محمد بن الحارث مولي بني هاشم، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر، أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، قرأ: "لقد كان لسبأ في مساكنهم". وقال الحاكم: هذه نسخة لم نكتبها غالباً إلا عن أبي العباس، والشيخان لم يحتجا بآبى البيلماني^(٢) وقال الذهبي: لم يصح قلت: إسناده ضعيف، لأن فيه عبد الرحمن بن البيلماني ضعيف. قال ابن حجر: ضعيف، وقال أبو حاتم: لين، ووثقه ابن حبان، وقال الحافظ عبد العظيم: لا يحتج به، وكذلك ابنه محمد، قال البخاري: منكر الحديث^(٣).

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ "لسبأ" بالجر والتنوين، على أنه اسم حي، أي الحي الذين هم أولاد سبأ. وحجة من قرأ "لسبأ" بالفتح وترك الصرف، بتأويل القبيلة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، ويقوى القراءة الأولى قوله: "في مساكنهم" ولو كان على تأويل القبيلة لقال في "مساكنها". فما ورد على القراءة الأولى قول

-/٤٤٣، وفتح القدير للشوكاني ج ٤ / ٣١٩ / ٣٢٠، والمحزر الوجيز ج ٤ / ٤١٣، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٣٨٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ / ٢٤٧ / ٢٤٨، ومعاني القراء للفراء ج ٢ / ٣٥٧.

(٢) أخرجه الحاكم في: كتاب التفسير، باب قراءات النبي، صلى الله عليه وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سند ج ٢ / ٢٤٨، والدوري في جزئه ص: ١٤٠ رقم ٩٤ قال: حدثنا علي بن مكي بن بشار البصري بإسناده ولفظه.

(٣) انظر: تقريب التهذيب ج ١ / ٤٧٤، وخلاصة تهذيب التهذيب الكمال ص: ٢٢٥ / ٣٤٧.

الشاعر :

٤٩- الواردون وتيم في ذري سبأ

قد عضّ أعناقهم جلد الجواميس^(٤)

ومما ورد على القراءة الثانية قول الشاعر :

٥٠- من سبأ الحاضرين مأرب إذ

يبتون من دُون سَيْلِهِ العَرَمَا^(٥)

وقال ابن الجوزي : قال المفسرون : المراد بسبأ ها هنا : القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأن قوماً يقولون : هو اسم بلد ، وليس باسم رجل . وذكر الزجاج في هذا المكان أن مَنْ قرأ " لسبأ " بالفتح وترك الصرف ، جعله اسماً للقبيلة ، ومن صرف وكسر ونون ، جعله اسماً للحي ، واسماً لرجل ، وكلُّ جائز حسن^(٦) . وحجة من قرأ : " في مساكنهم " على الجمع ، فظاهر ، لأن كل أحد له مسكن وجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى ، واختار هذه القراءة أبو عبيد ، وأبو حاتم . قلت : قرأ بها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ووجه اختيار أنها كانت لهم منازل كثيرة ، ومساكن متعددة .

(٤) الشاعر هو جرير ، وهو في ديوان ص : ج ١ / ٣٢٥ .

بلفظ : تَدْعُوكَ تَيْمٌ وَتَيْمٌ فِي قُرَى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

من قصيدته التي يهجو فيها التيم ، انظر : البحر المحيط ج ٧ / ٢٦٩ والدر المصون ج ٥ / ٤٣٨ رقم ٣٧٤٣ ، ج ٥ / ٣٠٥ رقم ٩٥٧٠ .

(٥) الشاعر هو : النابغة الجعدي وهو في ديوانه ص : ١٣٤ وأنشده ابن منظور في لسان العرب ج ١٠ / ١٢٤ مادة عرم وعزاه إلي الجعدي من غير تعيين ، وذكره ابن الأنباري من الإنصاف ج ١ / ٤١٠ رقم ٣٢١ وفي الدر المصون ج ٥ / ٤٤٠ رقم ٣٧٤٦ والكتاب ج ٣ / ٢٥٣ بلا نسبة وفي جمهرة اللغة ج ٣ / ٢٥٥ ومجاز القرآن ج ٢ / ١٤٧ رقم ٧٣٦ وفي إعراب القرآن للنحاس ج ٢ / ٣١١ رقم ٣١٨ .

(٦) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ج ٦ / ٤٤٣ .

وحجة من قرأ: "مَسْكَنُهُمْ" بكسر الكاف أو فتحها، فوجه الأفراد أنه مصدر يشمل القليل والكثير، أو اسم مكان وأريد به معنى الجمع. وقال أبو الحسن: كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم، والفتح لغة الحجاز، وهي اليوم قليلة، وقال الفراء: وهي لغة يمانية فصيحة. وقال مكّي: وحجة من وَحَّدَ أنه بمعنى السكنى، فهو مصدر يدلّ على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع مع خفة الواحد. وحجة من جمع أنه لما كان لكل واحد منهم مسكن وجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى. وحجة من فتح الكاف في الواحد أنه أتى به على المستعمل المعروف، لأنه المصدر من "فَعَلَ يَفْعُلُ" يأتي أبدأ بالفتح نحو المقعد، والمدخل، والمخرج، فهو أصل الباب. وحجة من كسر أنه جعله مِمَّا خرج على الأصل سماعاً، جاء بالكسر في المصدر، والفعل على "فَعَلَ يَفْعُلُ". وقد جاء ذلك في أحرف محفوظة منها "المسجد والمطلع" وقد جعل سيبويه "المسجد" اسماً للبيت، ولم يجعله مصدراً حين رآه خرج عن الأصل، والأخفش يقول: "المسكن" بالكسر لغة مستعملة، وهي في المسجد كثيرة، قال: والفتح في المسجد لغة أهل الحجاز، وهي قليلة الاستعمال عنده، والاختيار الجمع، لأنه عليه الأكثر وعليه العمل. وقال أبو البقاء العكبري: يقرأ "مَسْكَنُهُمْ" على الأفراد، بكسر الكاف وفتحها، لغتان. قلت: القراءة الموجودة في المصحف الإمام هي التي قرأ بها حمزة وحفص "في مَسْكَنِهِمْ" بفتح الكاف على المصدر، وهو اسم جنس يراد به الجمع، وهي قراءة إبراهيم النخعي، وهذا الأفراد هو كما قال الشاعر:

٥١- ... كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُو^(٧)

(٧) البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل، والشاهد هنا في قوله: "بطنكم" حيث=

وكما قال الآخر :

٥٢-...قد عض أعناقهم جلدُ الجَوَامِيسِ^(٨)

وعلى هذا قوله سبحانه: " في مقعد صدق " سورة القمر ٥٥ أي: مواضع قعود، ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود، فهذا التأويل أشبه من أن تحمله على الوجه الآخر الذي لا يكاد يجيء إلا في شعر. وقال أبو علي الفارسي: فأما قول الكسائي: " في مَسْكِنِهِمْ " فالأشبه فيه الفتح، لأن اسم المكان من فَعَلَ يَفْعُلُ على المَفْعَل، فإن لم تُرد المكان، ولكن المصدر، فالمصدر أيضاً في هذا الحد على المَفْعَل مثل: المَحْشَرِ ونحوه، وقد يشدُّ عن القياس المطرد نحو هذا، كما جاء المَسْجِد، وسيبويه يحمله على أنه اسم البيت، وليس المكان من فَعَلَ يَفْعُل، فإن أراد ذاك فتح، وكذلك المَطْلِع من طَلَعَ يَطْلُعُ، والمَطْلَعُ على القياس، إلا أن أبا الحسن يقول: إنَّ المَسْكِنَ إذا كسرت له لغة كثيرة، قال: وهي لغة الناس اليوم، قال: وأما المَسْكِنُ مفتوحة فهي لغة الحجاز، قال: وهي اليوم قليلة^(٩).

= جاءت بمعنى الجمع " بطون " فهي مفردة لفظاً، جمع معني، انظر: الكتاب ج١/٢١٠، ومعاني الأخفش ج١/٤٣٧ ومعاني الفراء ج١/٣٠٧، والحجة لأبي علي الفارسي ج٣/٢٩٢، والموضح ج٣/١٠٤٨، والدر المصون ج٥/٤٣٨ رقم ٣٧٤٤ وتامه هو:

كلوا في بعض بطونكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص

والسيوطي في: همع الهوامع ج١/١٧٢ رقم ٩٩، والمفصل لابن يعيش ج٥/٨، والمختضب

ج٢/٨٧

(٨) سبق في ص: ٢٦٥ رقم ٤٩

(٩) انظر: الكشف ج٢/٢٠٤ / ٢٠٥، والحجة لأبي علي الفارسي ج٦/١٢ / ١٣ / ١٤، ومعاني القرآن للفراء ج٢/٣٥٧، ومعاني القرآن وإعرايه للزجاج ج٤/٢٤٧ / ٢٤٨، وتفسير البحر المحيط ج٧/٢٥٨ / ٢٥٩، وإعرااب القراءات الشواذ ج٢/٣٢٦، والمحزر الوجيز ج٤/٤١٣، وفتح القدير للشوكاني ج٤/٣١٩ / ٣٢٠.

٨٠- قوله تعالى: ﴿... حَقَّ إِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ۖ﴾ (٣٢)

القراءة: قرأ جمهور القراء "فُزَّعَ" بضم الفاء وتشديد الزاي مع الكسر من الفزع مبنياً للمفعول، أي: أطيّر الفزع عن قلوبهم، وفعل تأتي لمعان منها الإزالة، وهذا منه، نحو: قرّدت البعير. أي: أزلت القراد عنه.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وطلحة، وأبو المتوكل الناجي، وابن السميع، ويعقوب، وابن عامر "فَزَّعَ" بفتح الفاء، وشد الزاي، مبنياً للفاعل، من الفزع أيضاً. وقرأ الحسن "فُزَّعَ" من الفزع بتخفيف الزاي مبنياً للمفعول. وقرأ الحسن أيضاً، وأبو المتوكل أيضاً، وقتادة، ومجاهد "فَزَّعَ" مشدداً مبنياً للفاعل من الفزع. وقرأ الحسن أيضاً كذلك إلا أنه خفف الزاي. وقرأ عبد الله بن عمر، والحسن أيضاً، وأيوب السخيتاني، وقتادة أيضاً، وأبو ملج "فَزَّعَ" من الفراغ مشدداً مبنياً للمفعول، وقرأ ابن مسعود، وعيسى "أفرّقع عن قلوبهم" بمعنى انكشف عنها. وقال أبو حاتم: وما أظن الثقات رواها عن الحسن على وجوه إلا لصعوبة المعنى عليه، فاختلفت ألفاظ فيه (١٠). وروى الحاكم بإسناد صحيح، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "فُزَّعَ" بضم الفاء، وتشديد الزاي مكسورة، مبنياً للمفعول، وهي قراءة الجمهور من القراء. فقال الحاكم في مستدركه: حدثني علي بن حمشاذ العدل، ثنا بشر بن موسى الأسدي، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، أن نبي الله، صلى الله

(١٠) انظر: الكشف ج ٢ / ٢٠٥ / ٢٠٦، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٦ / ٢١ / ٢٢، والتبصرة ص: ٣٠٢، والتيسير ص: ١٤٧، والكنز في القراءات العشر ص: ٢٢١، وإعراب القراءات الشواذ ج ٢ / ٣٣١، والمحور الوجيز ج ٤ / ٤١٨ / ٤١٩، وتفسير البحر المحيط ج ٧ / ٢٢٦، وفتح القدير للشوكاني ج ٤ / ٣٢٥، وزاد المسير ج ٦ / ٤٥٢، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ٢٥٧، ومعاني القرآن للقراء ج ٢ / ٣٦١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ / ٢٥٣.

عليه وآله وسلم، قرأ: "فُزَّعَ عن قلوبهم ماذا قال ربكم". وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(١١) وقال الذهبي: علي شرط البخاري.

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ بالفتح أنه بنى الفعل للفاعل، ففي "فُزَّعَ" ضمير الفاعل، عائد على اسم الله، والمعنى: حتى إذا جَلَّى الله الفزع عن قلوب الملائكة، أي أزاله، قالوا: ماذا قال ربكم؟، وذلك فيما روي أن الملائكة تفزع إذا علمت أن الله أوحى بأمر، فتفزع منه أن يكون في أمر الساعة، فإذا جَلَّى الله الفزع عن قلوبهم، بأن ذلك الوحي ليس في أمر الساعة سألوه عن الوحي ما هو؟ فقالوا: ماذا قال ربكم، فيجوابهم جبريل، فيقول: قال الحق، وأخبر عنه بلفظ الجمع لجلالته وعظم قدره.

وحجة من قرأ بضم الفاء أنه بنى الفعل للمفعول، فأقام المجرور مقام الفاعل، وهو "عن قلوبهم". والضم: الاختيار، لأن الجماعة عليه. وقال أبو علي الفارسي: وفُزَّعَ واحد في المعنى وإن اختلفت الألفاظ. وكلا القراءتين بتشديد الزاي، وفعل معناه السلب، بالتقريع إزالة الفزع. قال قطرب: معنى: "فُزَّعَ عن قلوبهم" أخرج ما فيها من الفزع، وهو الخوف، وقال مجاهد: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة. والمعنى:

(١١) أخرجه الحاكم في: كتاب التفسير، باب قراءات النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سند ج ٢ / ٢٤٨، والبخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن" ج ١٣ / ٤٦١ رقم ٧٤٨١.

وأبو داود في: ٣٤ - كتاب السنة، ٢٢ - باب في القرآن ج ٤ / ٢٠٢٤ رقم ٤٧٣٨ من حديث الأعمش عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجمر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، عليه السلام، حتى إذا جاءهم جبريل فُزَّعَ عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق، الحق".

أن الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء، والأصنام، إلا أن الله سبحانه يأذن للملائكة والأنبياء ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها، وهم في غاية الفزع من الله كما قال تعالى: "وهم من خشيته مشفقون" فإذا أذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترب بتلك الحالة من الأمر الهائل والخوف الشديد من أن يحدث شيء من أقدار الله، فإذا سرى عليهم "قالوا". ومعنى من قرأ "افترقع عن قلوبهم" بمعنى أنكشف عنها، وقيل: تفرق. ومن قرأ "فُرغ" من الفراغ مشدداً الراء مبنياً للمفعول، وهو بمعنى الفزع، لأنها فرغت من الفزع، وقال غيره: بل فرغت من الشك والشرك^(١٢).

(١٢) انظر: الكشف ج ٢ / ٢٠٦، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٢١ / ٢، وإعراب القراءات الشواذ ج ٢ / ٣٣١، وتفسير البحر المحيط ج ٧ / ٢٦٦، وزاد المسير ج ٦ / ٤٥٢ / ٤٥٣، والمحور الوجيز ج ٤ / ٤١٨ / ٤١٩، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ٢٥٧، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ٣٨٧، وفتح القدير للشوكاني ج ٤ / ٣٢٥، ومعاني القرآن للفراء ج ٢ / ٣٦١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤ / ٢٥٣.